

أَمَّا بَعْدُ ، فَأُوصِيكُمُ أَيُّهَا النَّاسُ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، لَا يُنْكَرُ مُتَابِعُ لِلْوَاقِعِ فِي عُمُومٍ
وَحُصُوصٍ ، أَنْ تَمَّ تَغْيِيرًا كَبِيرًا فِي الْمُجْتَمَعَاتِ ، بَلْ
وَتَحْوُلًا فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ ، وَانْتِكَاسًا لِلْفِطْرِ وَانْقِلَابًا
لِلْمَفَاهِيمِ ، وَتَفَلُّتًا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَتَخَلُّيًا عَنِ

الْقِيمِ الْعَالِيَةِ ، وَتَوْسَعًا فِي قَبُولِ كُلِّ انْحِرَافٍ عَنِ
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَوُلُوعًا فِي كُلِّ مُنْكَرٍ عَظِيمٍ ،
صَاحِبَ ذَلِكَ تَسَاهُلًا مِمَّنْ تَجِبُ عَلَيْهِمْ رِعَايَةٌ مِّنْ
تَحْتِ أَيْدِيهِمْ ، وَتَقْصِيرٌ مِّنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي الْعِنَايَةِ بِمَنْ

وَلَا تُهْمُ اللَّهُ أَمْرَهُمْ ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " أَلَا كُتُّكُمْ رَاعٍ
وَكُتُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى

النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ^{٢٤} عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ
عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ^{٢٤} عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ
رَاعِيَةٌ^{٢٤} عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ^{٢٤} عَنْهُمْ
، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ^{٢٤} عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ^{٢٤}

عَنْهُ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "
لَقَدْ بَيَّنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ
الْمَسْئُولِيَّةَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ
وَتَنَالُهُ سُلْطَتُهُ ، وَمَنْ تَمَّ فَلَمْ يَبْقَ عُذْرٌ لِمُعْتَدِرٍ بِأَنَّ

العالم قد تحوّل ، أو أنّ سيل التّغيير جارٍ وجيش
الإفساد زاحفٌ ، أو أنّنا لسنا وحدنا ولا مُفصلين
عمّن حولنا . وإذا كانت رِعاية الإمام الأعظم هي
حِياطة الشريعة والحفاظ على الدين وإقامة الحدود

، وَإِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي النَّاسِ وَالْقِسْمُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ
وَأِنْصَافُ الْمَظْلُومِ ؛ لِيَأْمَنُوا عَلَى دِينِهِمْ وَعُقُوبِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ ، وَلِتُحْفَظَ أَعْرَاضُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، فَإِنَّ مَنْ
تَحْتَهُ مِنْ مَسْئُولِينَ كَبُرُوا أَوْ صَغُرُوا ، هُمْ كَذَلِكَ

مُطَابَّرُونَ بِالْقِيَامِ بِمَصَالِحِ النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ فِي دِينِهِمْ
وَدُنْيَاهُمْ ، فَالْعُلَمَاءُ وَطُلَّابُ الْعِلْمِ وَالْخُطَبَاءُ ،
يُبَلِّغُونَ دِينَ اللَّهِ وَيُعَلِّمُونَ النَّاسَ ، وَالْقُضَاةُ وَرِجَالُ
الْأَمْنِ مَسْئُولُونَ عَنِ رِعَايَةِ النَّاسِ فِي خُصُومَاتِهِمْ

وَالْفَصْلِ فِي قَضَايَاهُمْ ، وَإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ مِنْهُمْ
حَقَّهُ ، دُونَ مُحَابَاةٍ وَلَا مُجَامَلَةٍ وَلَا مُمَاطَلَةٍ ، وَهَكَذَا
الطَّيِّبُ يَرَعَى الْمَرَضَى وَيَحْفَظُ أَجْسَادَ النَّاسِ
وَأَرْوَاحَهُمْ ، وَالْمُعَلِّمُ يَرَعَى طُلَّابَهُ وَيُعَلِّمُهُمْ وَيُرَبِّيهِمْ

، وَيُوجِّهُهُمْ وَيَحْرِصُ عَلَى صَفَاءِ عَقَائِدِهِمْ وَاسْتِقَامَةِ
فِطْرِهِمْ وَسَلَامَةِ عُقُوبِهِمْ ، وَهَكَذَا التَّاجِرُ لَا يَغْشُ
وَلَا يُخَادِعُ ، وَلَا يَبِيعُ بِمَا يُكَلِّفُ النَّاسَ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ
، وَلَا يَحْتَكِرُ سِلْعَةً يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا لِيُضِرَّ بِهِمْ ، أَمَّا

المَسْؤُولِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ وَمَا زَالَتْ كَبِيرَةً وَعَظِيمَةً ،
وَأَثَرُ الْقِيَامِ بِهَا وَاضِحٌ فِي الإِصْلَاحِ وَالصَّلَاحِ ،
وَخَطَرُ التَّسَاهُلِ فِيهَا بَيْنَ فِي إِسْرَاعِ الفَسَادِ إِلَى
الرَّعِيَّةِ وَفَتْحِ البَابِ لِلْمُفْسِدِينَ ، فَهِيَ مَسْؤُولِيَّةٌ

الرَّجُلِ عَنِ أَهْلِهِ وَمَنْ تَحْتَ يَدِهِ مِنْ أَبْنَاءِ وَبَنَاتٍ ،
قَالَ تَعَالَى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ " وَقَالَ جَلَّ
وَعَلَا : " وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا "

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ
بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا
وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ
" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ : " مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ ، فَمَالَ إِلَى
إِحْدَاهُمَا ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ " رَوَاهُ
أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : " اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ " رَوَاهُ

البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . أَجَلَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِنَّ عَلَى
الرِّجَالِ الْيَوْمَ مَسْئُولِيَّةً عَظِيمَةً ، مُضَاعَفَةً أَكْثَرَ مِمَّا
كَانَ عَلَيْهِمْ سَابِقًا وَفِي أَزْمِنَةٍ مَضَتْ ، وَهَكَذَا كُلُّ
فَرْدٍ فِي مُجْتَمَعِنَا وَعَالَمِنَا الْيَوْمَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْ رِعَايَةِ

نَفْسِهِ وَحَفِظَ جَوَارِحَهُ أضعَافَ مَا كَانَ عَلَيْهِ
بِالْأَمْسِ ، فِي خِضَمِّ هَذَا التَّغْيِيرِ وَالتَّحَوُّلِ الَّذِي
تُرِكَتْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمَأْمُورَاتِ ،
وَأَنْتَهَكْتَ الْمُحَرَّمَاتُ وَاقْتَرَفْتَ السَّيِّئَاتُ وَوُقِعَ فِي

الْمَنْهِيَّاتِ ، وَدُعِي إِلَى فَوَاحِشَ وَشَهَوَاتٍ وَأُقِرَّتْ
مُنْكَرَاتٌ ، أَلَا فَلَنْتَقِيَ اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَلَنْقُمَ
بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَلَنْحَذَرَ مِنَ الْمَعَاصِي
وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْمُخَالَفَاتِ ، وَلَنْشْكُرَ مَا أَوْلَانَا إِيَّاهُ

رَبُّنَا مِنَ النَّعَمِ ، وَلُنَسْتَعِنُ بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَمَا يُرْضِيهِ
لِئَلَّا تَحُلَّ بِنَا النِّقَمُ ؛ فَإِنَّهُ " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمْرِهِ
فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ

أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ
فِيهِ " " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّمَا
أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا
وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ " " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا

يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَإِنبِئْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "

أَمَّا بَعْدُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ ،
أَلَا وَإِنَّ مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَيَّ أَحَدٍ مِنَّا الْيَوْمَ ، أَنَّهُ قَدْ
فُتِحَتْ عَلَيَّ نِسَائِنَا وَأَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا أَبْوَابٌ مِنَ الشَّرِّ

فِي الْوَاقِعِ الْمَحْسُوسِ الْمَلْمُوسِ ، وَفِيمَا يُسَمَّى
بِالْوَاقِعِ الْاِفْتِرَاضِيِّ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الَّتِي فِي
أَيْدِيهِمْ وَتَحْتَ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ
حُقُوقِهِمْ وَالْحَالَةَ تِلْكَ : النُّصْحَ وَالتَّوْجِيهَ بِالْحِكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ، وَحِمَايَةَ أَخْلَاقِهِمْ وَمُرَاقَبَةَ سُلُوكِهِمْ ، وَالْبُعْدَ
بِهِمْ عَنِ كُلِّ رَذِيلَةٍ ، وَالنَّأْيَ بِهِمْ عَنِ مَوَاطِنِ الْفَسَادِ
وَمَوَاقِعِ الْإِفْسَادِ ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الصَّلَاحِ

وَالِاسْتِقَامَةَ ، وَبَيَانَ ضَرَرِ وَسَائِلِ الْفَسَادِ وَبِرَاجِحِهِ ،
وَالصَّبْرَ عَلَى ذَلِكَ وَالْحِرْصَ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْكِبَارُ
قُدُورَةً حَسَنَةً لِلصِّغَارِ ، فَحِمَايَةَ الْأَجْيَالِ أَمَانَةً
يَنْقُلُهَا كُلُّ جِيلٍ عَمَّنْ قَبْلَهُ ، وَمَسْئُولِيَّةً يُسَلِّمُهَا

لِمَنْ بَعْدَهُ ، وَ " إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِقَ
لِلشَّرِّ ، وَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِقَ لِلْخَيْرِ
، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ،
وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ " وَ "

مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ
مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ
أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ،
كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ

غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " وَ " مَنْ دَلَّ عَلَى
خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ " فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً كَانَ
مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ فِي بَيْتِهِ وَفِي مُجْتَمَعِهِ ، قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِمَنْ حَوْلَهُ وَلِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ ، مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ دَافِعًا لَهُ

مَا اسْتَطَاعَ ، فَلَنْتَقِيَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَلَنْتَذَكَّرَ أَنَّ
الصَّابِرَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَفِي وَقْتِ الْفِتَنِ وَتَرَاجُعِ
النَّاسِ عَنِ الدِّينِ ، لَهُ أَجْرٌ خَمْسِينَ مِنْ الصَّحَابَةِ
جَزَاءَ صَبْرِهِ وَثَبَاتِهِ ، وَامْتِثَالِهِ أَمْرَ رَبِّهِ الْقَائِلِ سُبْحَانَهُ

: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "